تفسير المراغي

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

أحمد مصطفى المراغي

أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية
بكلية دار العلوم سابقا

الجزء الأول

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى
١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

حقوق الطبع محفوظة

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمود الله ، جلت آلاؤه ، والمصلى عليه محمد وآله .

و بعد : فإنا لنشاهد فى عصرنا الحاضر ميل الناس إلى التزيد فى الثقافة الدينية ، ولا سيما تفسير الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وكثيرا ما سئلت أىُّ التفاسير أسهل منالا، وأجدى فائدة للقارئ فى الزمن القليل ؟ فكنت أقف واجما حائرا لاأجد جواباعن سؤال السائل علما منى بأن كتب التفسير على مافيها من فوائد جمة ، وأسرار دينية عظيمة و إيضاح لمغازى الكتاب الكريم ، قد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون : من بلاغة ونحو وصرف وفقه وأصول وتوحيد إلى نحو أولئك مما كان عقبة كأداء أمام قارئيها ، إلى ما فيهامن أقاصيص مجانفة لوجه الصواب متنكبة عن حظيرة العقل ووجوه المعارف التى يصح تصديقها ، إلى تفسير للقضايا العلمية التى أشار إليها القرءان العزيز على حسب ما أيده العلم فى تلك العصور، وقد أثبت العلم فى هذا العصر وأيد الدليل والبرهان أنه لا ينبغى التعويل على مثل ما كان معروفا حينئذ ، إلى أن هذه المؤلفات وضعت ـ فى عصور قد خلت ـ بأساليب تناسب أهلها ، وكان مؤلفوها

يتباهون بإيجازها ويرون ذلك مفخرة لهم ، ولكن الزمان وهو الحوّل القُلَّب غيّر آراء الناس فى الموسوعات العلمية ، فرأوا أن الكتاب الذى لا يناجيك معناه لدى قراءة لفظه ، أولى لك ألا تضيع وقتك فى قراءته وكدّ الفكر فى الوصول إلى المعمّى من معناه .

ومن ثم نهج الناس فى التأليف منهج السهولة والسلاسة مع تحقيق المسائل العلمية حتى تعتز بمظاهرة الدليل والبرهان لها ، ونفوا الزائف الذى لا يقوم على ساقين ، ولا يستند إلى عصوين ، من تجربة واختبار ، وحجة وبرهان .

من جرّاء هذا رأينا مسيس الحاجة إلى وضع تفسير للكتاب العزيز يشاكل حاجة الناس فى عصرنا فى أسلوبه وطريق رصفه ووضعه ، ويكون دانى القطوف ، سهل المأخذ يحوى ما تطمئن إليه النفس من تحقيق علمى تدعمه الحجة والبرهان ، وتؤيده التجربة والاختبار ، ويضم إلى آراء مؤلفه آراء أهل الذكر من الباحثين فى مختلف الفنون التى ألمع إليها القرءان على نحو ما أثبته العلم فى عصرنا ، وتركنا الروايات التى أثبتت فى كتب التفسير ، وهى بعيدة عن وجه الحق مجانفة للصواب ، والله أسأل أن يوفقنا للرشاد ، ويهدينا إلى سواء السبيل ؟

أول المحرم عام ١٣٦٥ هـ

أحمد مصطفى المراغى

عناية المسلمين بتفسير الكتاب الكريم

كتاب الله هو دستور التشريع ، ومنبع الأحكام التى طلب إلى المسلمين أن يعملوا بها ، ففيه بيان الحلال والحرام والأمر والنهى ، وكذلك هو معين الآداب والأخلاق التى أمروا أن يستمسكوا بها ، لتكون مصدر سعادتهم ، ومنبع هدايتهم ، ونيلهم الزُّلفى عند ربهم فى جنات النعيم ؛ كما أنها الوسيلة لإصلاح حال المجتمع الإسلامى إذا أخذوا بها ولم يحيدوا عن طريقها و ينحرفوا عن سَنَنها .

فلا غرو أن كان تفسيره ، و إيضاح ما أشكل عليهم فهمه منه — هجّيراهم من بدء التنزيل فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان هو النبراس الذى يضىء لهم ما خفى عليهم من أمور التشريع ومعرفة أسرار الدين .

ومما ساعد على ذلك أنه نزل مُنَجَّما على حسب الحوادث والوقائع فى نيف وعشرين سنة ، وقد كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فى واقعة بعينها فيتدارسها مع صحبه ، ويفصل لهم مجملها ، ويوضح لهم مبهمها ، ويفسر لهم مشكلها ، حتى لاتبقى فى النفس بقية من لَبْس ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الهادى لهم إلى سواء السبيل ، والفاتح لهم ما استغلق من أمر دينهم ، والمفسر لكتاب الله بسنته القولية وسنته الفعلية كما قال تعالى (وأنزلْنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم) وهكذا ظل دائبا حتى لحق بالرفيق الأعلى .

طبقات المفسرين

١ — التفسير فى عصر الصحابة

طفق المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتدارسون القرآن ، ويتفهمون معناه بطريق الرواية عن صحبه الذين كانوا يجلسون فى حضرته كثيراً .

وقد اشتهر بالتفسير عشرة من الصحابة : الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر

وعثمان وعلى ، ثم عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير .

وأكثر من روى عنه التفسير من الخلفاء على بن أبى طالب ، والرواية عن الثلاثة الباقين نادرة ، وروى عن ابن مسعود المتوفى بالمدينة سـنة ٣٢ هـ أكثر مما روى عن على رضى الله عنه .

أما عبد الله بن عباس المتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ فهو تَرجمان القرآن ، وحِبر الأمة ، وشيخ المفسرين ، فقد روى عنه فى التفسير ما لا يحصى كثرة ، دعا له النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم فَقِّهْهُ فى الدين وعَلِّمه التأويل .

قال صاحب كشف الظنون ما نصه :

وأصح الطرق فى الرواية عنه :

(١) طريق على بن أبى طلحة الهاشمى المتوفى سنة ١٤٣هـ ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه .

(٢) طريق قيس بن مسلم الكوفى المتوفى سنة ١٢٠ هـ عن عطاء بن السائب

(٣) طريق ابن إسحاق صاحب السيرة .

(٤) طريق أبى النضر محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦هـ ، وهى أَوْهَى الطرق ، ولا سيما إذا وافقتها طريق محمد بن مروان السُّدِّى الصغير المتوفى سنة ١٨٦هـ

وقد طبع تفسير ينسب إلى ابن عباس برواية الفيروزبادى صاحب القاموس ، سماه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) .

وروى عن أُبى بن كعب المتوفى سنة ٢٠هـ تفسير كبير رواه عنه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أقرأ الصحابة وسيد القراء .

وزيد بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٤٥ هـ أحد كتاب الوحى ، وهو الذى جمع المصحف أولا فى عهد أبى بكر ، ثم كان رئيس الجماعة الذين كتبوا المصحف فى عهد عثمان .

وأبو موسى الأشعرى هو عبد الله بن قيس الأشعرى المتوفى سنة ٤٤ هـ .

٢ — التفسير فى عهد التابعين

أعلم الناس بالتفسير فى هذا العصر :

ا — علماء مكة أصحاب عبد الله بن عباس وأشهرهم :

(١) مجاهدبن جبر المتوفى سنة ١٠٣هـ وقد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، واعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى .

(٢) سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ .

(٣) عِكرِمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة ١٠٥ هـ .

(٤) طاوس بن كيسان اليمانى المتوفى بمكة سنة ١٠٦ هـ .

(٥) عطاء بن أبى رَباح المكى المتوفى سنة ١١٤ هـ .

قال سفيان الثورى : خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال قَتادة : كان أعلم التابعين أربعة ، كان عطاء بن أبى رباح أعلمهم بالمناسك ، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن[1] أعلمهم بالحلال والحرام .

ب — علماء الكوفة أصحاب ابن مسعود وأشهرهم :

(١) علقمة بن قيس المتوفى سنة ١٠٢ هـ .

(٢) الأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ هـ .

(٣) إبراهيم النخْعى المتوفى سنة ٩٥ هـ .

(٤) الشعبى المتوفى سنة ١٠٥ هـ .

حـ — علماء المدينة أصحاب زيد بن أسلم العدوى المدنى المتوفى سنة ١٣٦هـ ، وله تفسير يعد من أمهات التفاسير ، ومن أشهرهم :

---

(١) الحسن البصرى

(١) ابنه عبد الرحمن بن زيد المتوفى سنة ١٨٢ هـ .
(٢) مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ .
(٣) الحسن البصرى المتوفى سنة ١٢١ هـ .
(٤) عطاء بن أبى مسلم الخراسانى المتوفى سنة ١٣٥ هـ .
(٥) محمد بن كعب القُرظى المتوفى سنة ١١٧ هـ .
(٦) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحى المتوفى سنة ٩٠ هـ .
(٧) الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
(٨) عطية بن سعيد العوفى المتوفى سنة ١١١ هـ .
(٩) قتادة بن دعامة السَدوسى المتوفى سنة ١١٧ هـ .
(١٠) الربيع بن أنس المتوفى سنة ١٣٩ هـ .
(١١) اسماعيل بن عبد الرحمن السُدِى الكبير المتوفى سنة ١٢٧ هـ .

٣ — طبقة ثالثة جمعت أقوال الصحابة والتابعين :

وأشهر هؤلاء :

(١) سفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ .
(٢) وَكيع بن الجراح الكوفى المتوفى سنة ١٩٧ هـ .
(٣) شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ .
(٤) يزيد بن هرون السُلمى .
(٥) عبد الرازق المتوفى سنة ٢١١ هـ .
(٦) آدم بن أبى إياس المتوفى سنة ٢٢١ هـ .
(٧) إسحاق بن راهويه الإمام الحافظ النيسابورى المتوفى سنة ٢٣٨ هـ .
(٨) روح بن عبادة المتوفى سنة ٢٠٥ هـ .
(٩) عبد الله بن حميد الجهنى .
(١٠) أبو بكر بن أبى شيبة الإمام الحافظ الكوفى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ .

٤ — الطبقة الرابعة طبقة ابن جرير :

تلت هؤلاء طبقة أخرى ، منها :

(١) على بن أبي طلحة المتوفى سنة ١٤٣ هـ .

(٢) ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

(٣) ابن ماجه الحافظ أبو عبد الله محمد القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .

(٤) ابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهانى المتوفى سنة ٤١٠ هـ .

(٥) أبو الشيخ بن حبان البستى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

(٦) ابرهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من أشهر مفسرى هذا العصر . قال السيوطى فى الإتقان : وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وللإعراب ، والاستنباط ، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين اهـ . وقال النووى النيسابورى الشافعي فى تهذيبه : كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنف أحد مثله ، وقال أبو إسحق الاسفرائينى : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً ، وروى أن ابن جرير قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثين ألف ورقة . قالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ذكر ذلك السبكى فى طبقاته .

٥ — الطبقة الخامسة طبقة المفسرين بحذف الأسانيد :

ألف بعد هؤلاء جماعة من المفسرين لهم تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد من أشهرهم :

(١) أبو إسحق الزجاج إبراهيم بن السرى النحوى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وقد سمى تفسيره (معانى القرآن) .

(٢) أبو على الفارسى الحجة الثبت فى اللغة والبلاغة ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى مختلف الفنون ، توفى سنة ٣٧٧ هـ .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ هـ .

(٤) أبو جعفر النحاس النحوى المصرى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

(٥) مكى بن أبى طالب القيسى النحوى المغربى المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

(٦) أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى سنة ٤٣٠هـ وله تفسير يسمى (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) .

وقد دخل فى التفسير فى هذه الفترة الدخيل ، إذ نقلت الأقوال بتراً محذوفة الأسانيد ، فالتبس الصحيح بالعليل ، وصار كل من سنح له قول يورده ، ومن خطر بباله شىء يعتمده ، غير ملتفت إلى ما روى عن السلف الصالح فى ذلك ، ومن هم القدوة فى هذا الباب .

٦ — عصر المعرفة الإسلامية :

التقت فى البلاد الإسلامية تيارات العقل البشرى حاملة تراث المدنيات والحضارات اليونانية والفارسية والهندية ، ومرت بأهلها أعاصير من جدل أهل الكتاب يهودهم ونصاراهم ، فكان كل أولئك حافزاً للعلماء على أن يؤلفوا موسوعات فى التفسير تجمع بين دفتيها فنوناً من المعرفة لم يكن لهم بها سابقة عهد ، وسار الفكر الإسلامى حرا طليقا فى معرفتها حيناً ، ومقيداً حيناً آخر ، يحكّم العقل مرة ، ويسلس قياده للنص أخرى ، ويميل إلى التقليد حين الضعف والانحلال والركود الفكرى . ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب أكمل الأنبياء ، مشتملا على معارف عالية ومطالب سامية ، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال مايكاد يحول بينه وبين الوصول إليها — سهل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا إلاّ الفهم والتدبر فى كلامه ، لأنه نزله نوراً وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التى لا يمكن العمل بها إلا إذا فهمت حق الفهم ، واستوضحت مغازيها ، وكشفت

أسرارها ومراميها ، من حيث هى دين إلهى ، وهدى سماوى ، ترشد الناس إلى مافيه سعادتهم فى حياتهم الدنيوية والأخروية ، وماسوى ذلك من وجوه النظر والبحث ، فتابع لذلك ، ووسيلة إليه فى التحصيل ، ولا يعنينا العناية التى نهتم لها اهتمامنا بالمطلب الأول ، لـكن كثيراً من المفسرين ، جعلوا عنايتهم تكاد تكون وقفاً على الوسائل دون المقاصد :

(١) فمنهم من وجه النظر إلى البحث فى أساليب الـكتاب ومعانيه ، و بيان ما احتوى عليه من بلاغة وفصاحة ، وأطنب فى ذلك وجعل مقصده بيان ميزته عن غيره من الـكلام و إظهار إعجازه للناس ، ليتبين لهم كيف أعجز مقاويل العرب وفصحاءهم ، وكيف استخذَوا أمامه ووقفوا واجمـــين ؟ وكيف لجئوا إلى السيف والسنان ، دون مقابلة البرهان بالبرهان ؟ وكيف عُمِّى عليهـم الأمر ؟ فلم يجدوا لرد التحدى سبيلا .

وقد سلك هذا المسلك الزمخشرى فى كشافه ، فألم بالـكثير من مقاصد البلاغة ، وأبدع فيها أيما إبداع ، ونحا نحوه خلق كثير .

(٢) ومنهم من وجه النظر إلى إعرابه وتوسع فى بيان وجوهه ، حتى كأن القرءان لهذا أنزل ، ومن سلك هـــذا المسلك الزجّاج فى تفسيره معانى القرءان ، والواحدى النيسابورى فى تفسيره (البسيط) ، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى فى البحر المحيط .

(٣) ومنهم من وجه النظر إلى القصص والأخبار عمن سلف ، وقد نحا هـذا النحو أقوام زادوا فى قصص القرءان ما شاءوا من كتب التاريخ والإسرائيليات ، وليتهم اقتصروا على النقل من التوراة والإنجيل والـكتب المعتمدة لدى أهل الـكتاب ، لـكنهم أخذوا جميع ما سمعوه عنهم من غير تفريق بين غث وسمين ، ولا تنقيح لما يخالف الشرع ولا يطابق العقل ، ومن أشهر هؤلاء الثعلبى ، وصاحب الخازن علاء الدين ابن محمد البغدادى المتوفى سنة ٧٤١ هـ .

(٤) ومنهم من وجَّه همه إلى الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وكيفية استنباطها من الآيات ، وربما استطردوا إلى إقامة الأدلة عليها ، والرد على المخالفين مما لا تعلق له بالتفسير كما فعل القرطبي فى تفسيره .

(٥) ومنهم من عُنى بالكلام فى أصول العقائد ومقارعة الزائغين ، ومحاجة المخالفين ، وللإمام الرازى المتوفى سنة ٦١٠هـ فى ذلك القِدْح المعلَّى فى تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ، فقد خرج فيه من باب إلى باب ، حتى ليقضى الناظر العجب من صنيعه . قال أبو حيان فى البحر : جمع الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة إليها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شىء إلا التفسير اهـ .

(٦) ومنهم من اتجه إلى الوعظ والرقائق ممزوجة بحكايات المتصوفة والعباد ، وفى بعضها خروج عن حدود الفضائل والآداب التى جرى عليها القرءان .

(٧) ومنهم من سلك طريق التفسير بالإشارة إلى دقائق لا تنكشف إلا لأرباب السلوك ، ويمكن إرادتها مع إرادة ظاهر المعنى ، وقالوا إن ذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان .

ولقد نعلم أن الإكثار فى مقصد من هذه المقاصد يُدخل النقص على الغرض الأصلى من تفسير الكتاب الكريم ، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية للناس فى دنياهم وآخرتهم .

٧ — طريق كتابة القرآن الكريم :

من المعروف أن لكتابة القرءان طريقاً خاصة تخالف الطريق التى اتبعها العلماء فيما بعد ودرجوا عليها ، ودونوا فيها كتبا تعرف بعلم رسم الحروف ، أو علم الإملاء ، وبه كتبت جميع المؤلفات من القرن الثالث فما بعده إلى اليوم .

أما كتابة المصحف فهى تابعة للطريق التى كتب بها المصحف فى عهد عثمان ابن عفان الخليفة الثالث على يد جماعة من كبار الصحابة وتسمى (الرسم العثمانى) ، وقد اتبع فيها نهج خاص يخالف ما اتبع فيما بعد فى كثير من المواضع ، ومن ثم قيل : خطان لا يقاس عليهما : خط العروض ، وخط المصحف العثمانى .

آراء العلماء فى التزام الرسم العثمانى

فى كتابة المصاحف

الرأى الأول — عبرعنه الإمام أحمد بقوله : تحرم مخالفة خط عثمان فى واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك . وقال أبو عمرو الدانى : لامخالف لما حكى عن مالك من وجوب الكتابة على الكِتْبة الأولى من علماء الأمة .

الرأى الثانى — أن رسم المصاحف اصطلاحى لاتوقيفى ، وعليه فتجوز مخالفته ، وممن جنح إلى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته ، وممن تحمس له القاضى أبو بكر فى الانتصار ، إذ قال : وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ على كتّاب القرءان وخطاطى المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لايدرك إلابالسمع والتوقيف ، وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرءان وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ، ولا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى عن كتابته بغيره .

ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه أن ذلك اصطلاح ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال ، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات ، وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة ، وجاز أن يكتب بين ذلك .

وإذا كانت خطوط المصاحف ، وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة ،

وكان الناس قد أجازوا ذلك ، وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته ، وما هو أسهل وأشهر وأولى ، من غير تأثيم ولا تناكر ، علم أنه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص ، كما أخذ عليهم فى القراءة والأذان .

والسبب فى ذلك أن الخطوط إنما هى علامات ورسوم تجرى مجرى الإشارات والعقود والرموز ، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكتابة به على أى صورة كانت . وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، وأنى له ذلك؟ اهـ .

الرأى الثالث — يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان إلى ما يفهم من كلام العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثمانى الأول ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن يجب فى الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثمانى كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ، فلا يهمل مراعاته لجهل الجاهلين ، بل يبقى فى أيدى العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض . وهاك عبارة التبيان قال :

وأما كتابته (المصحف) على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل الشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك، وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا . إلا على الكتبة الأولى .

قال فى البرهان : قلت وهذا كان فى الصدر الأول والعلم حى غض ، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه ، لئلا يؤدى إلى دروس العلم ، وشىء قد أحكمه القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته اهـ .

وقد جرينا على الرأى الذى أوجبه العز بن عبد السلام فى كتابة الآيات أثناء التفسير للعلة التى ذكرها ، وهى فى عصرنا أشد حاجة إليها من تلك العصور ، على أن الخلاف بينهم فى المصحف لا فى القرآن ولو أثناء التفسير كما فعلنا .

خدمتى للغة العربية والكتاب الكريم

لقد سعدت بخدمتى للغة العربية نحو نصف قرن درسا وتدريسا ، وتأليفا وتصنيفا ، أتتبع أساليبها فى آى القرءان الحكيم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشعر والنثر ، حتى وجدتنى كلفا ، بأن أتوج خدمتى لهذه اللغة بتأليف تفسير آى الذكر الحكيم المسمى (تفسير المراغى) .

وقصارای أن أسير فى قافلة الحاملين لمشعل المعرفة الإسلامية ، مؤديا بعض ما يجب على نحو الكتاب الكريم من الكشف عن بعض أسراره ومغازيه .

نهجنا الذى سلكناه فى هذا التفسير

رأينا أن ندلى إليك أيها القارئ ، بالنهج الذى اتبعناه فى التأليف ، لتكون على بينة من أمره :

(١) ذكر الآيات فى صدر البحث

صدرنا كل بحث بآية أو آيتين أو آيات من الكتاب الكريم ، سيقت لتؤدى غرضا واحدا .

(٢) شرح المفـردات

أردفنا ذلك بتفسير مفرداتها اللغوية ، إن كان فيها بعض الخفاء على كثير من القارئين .

(٣) المعنى الجملى للآيات

أتبعنا ذلك بذكر المعنى الجملى لهذه الآية أو الآيات ليتجلى للقارئ منها صورة مجملة حتى إذا جاء التفسير وضح ذاك المجمل .

(٤) أسباب النزول

أعقبنا ذلك بما ورد من أسباب النزول لهذه الآيات ، إن صح شيء من ذلك لدى المفسرين بالمأثور .

(٥) الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم

ضربنا صفحا عن ذكر مصطلحات العلوم : من نحو وصرف و بلاغة إلى أشباه ذلك ، مما أدخله المفسرون فى تفاسيرهم ، فكان من العوائق التى حالت بين جمهرة الناس وقراءة كتب التفسير ، فقد وجدوا طِلَّسْمَات وألغازا يصعب عليهم فهمها والسير قُدُماً فى استيعاب قراءة التفسير ، لأنها من ألوان الصناعات التى يخص بها قوم من الناس ، وتكون عونا لهم على فهم الأساليب العربية فهم دراسة وتعمق ، كما يخص قوم من الأمة بالحياكة والنجارة والحدادة إلى أشباه ذلك .

(٦) أسلوب المفسرين

رأينا أن الأساليب التى كتبت بها كتب التفسير وضعت فى عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التى ألفت فيها و يسهل عليهم فهمها ، وأن جمهرتهم أوجزوا فى القول وعدوا ذلك مفخرة لهم .

ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره فى آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم — وجب على الباحثين فى هذا العصر مجاراة أهله فى كل ما تقدم ، فكان لزاما علينا أن نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب

عصرنا موافقا لأمزجة أهله ، فأساس التخاطب أن لـكل مقام مقالا ، وأن الناس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد رأينا أن نشيد فيـه بجهود السابقين معترفين بفضلهم مستندين إلى آرائهم .

وقد سلـكنا فى الوصول إلى فهم كتاب الله فى مسئلة بعينها استطلاع آراء العارفين بها ، فاستطلعنا آراء الطبيب النطاسى، والفلـكى العارف، والمؤرخ الثبت، والحـكيم البصير ليدلى كل برأيه فيما تمهر فيه ، لنعلم ما أثبته العلم وأنتجه الفـكر ، فيكون كلامنا معتزا بكرامة المعرفة التى تشرف بتفهم كتاب الله ، فرجل الدين حامل لوائها ، عليه أن يسأل العلم دائما ليستبصر بما ثبت لديه ، ويساير عصره ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فإن قعدت به همته إلى الموروث من قضاياه لدى الماضين ركب شططا وازداد بعدا عن الحقيقة ، وتضاءل أمام نفسه وأمام قارئى بحوثه ومؤلفاته .

(٧) ميزة العصر الحاضر فى وسائل التفاهم

ميزة عصرنا أن الـكلام وسيلة فهم الغرض حين التخاطب ، فلا حاجة إلى النقاش وصنوف التأويل لفهم المعنى ، ومن ثم كان أهم ما عملت أن أقرأ فى الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمنتهم حتى إذا اطمأننت إلى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمته ، كتبته بأسلوب العصر الحاضر ، وهذا هو نهجى فى كل جزء من أجزاء هذا التفسير .

وما حملنى على ركوب هذا المركب الخشن ، واقتحام هذه العقبات إلا انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التى بين أيدينا بدعوى أنها صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات ، لا يعلمها إلا من أتقن هذه الفنون من العلماء ، واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوبا سهل المأخذ قليل الـكلفة فى الفهم ، حتى يستطيع القارئ أن يلم بأسرار كتاب الله دون كد ولا نصب .

(٨) تمحيص روايات كتب التفسير

أشار الكتاب الكريم إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التى حل بها العذاب على ما اجترحت من الآثام ، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات ، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه الجملات التى أشار إليها الكتاب ، إذ كانوا أمة أمية فى صحراء نائية عن مناهل العلم والمعرفة ، والإنسان بطبعه حريص على استكناه المجهول ، واستيضاح ما عزت عليه معرفته ، فألجأتهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولاسيما مسلمتهم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ووهب بن مُنبّه ، فقصوا عليهم من القصص ما ظنوه تفسيرا لما خفى عليهم فهمه من كتابهم ، ولكنهم كانوا فى ذلك كحاطب ليل ، يجمع بين الشذرة والبعرة ، والذهب والشَبَه ، ولم تكن علوم القصاص ممحصة ولامهذبة ، بل كان ينقصها الميزان العلمى الذى به يتعرف جيد الرأى من بهرجه وصحيحه من سقيمه ، فساقوا إلى المسلمين من الآراء فى تفسير كتابهم ماينبذه العقل ، وينافيه الدين ، وتكذبه المشاهدة ، ويبعده كل البعد ما أثبته العلم فى العصور اللاحقة .

وما كان مثلهم ومثل العرب الذين استوضحوهم بعض ما استعصى عليهم فهمه إلا مثل السائح الأوربى إذا جاء إلى سفح الأهرام بمصر ، وسأل العرب الضاربين خيامهم حولها . لم بنيت الأهرام ؟ ومن بناها ؟ ومتى بنيت ؟ وكيف بنيت ؟ فيجيبونه إجابات بعيدة عن الحقيقة ومجانفة وجه الصواب .

ومن ثَم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التى لا خلاف فيها بين أهله ، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة ، وأشرف لتفسير كتاب الله ، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية ، لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة .

(٩) عدد أجزاء هذا التفسير

جعلت تفسيرى ثلاثين جزءاً ، لكل جزء من القرآن الكريم جزء خاص من التفسير، ليسهل على القارىء حمل هذا الجزء واستصحابه معه فى حله وترحاله ، فى قطر السكك الحديدية ، وفى الترام ، وفى كل مكان ينتقل إليه .

وكان من فأل الطالع أن بدئ بنشر هذا التفسير فى أول العام الهجرى الجديد عام ١٣٦٥ هـ .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقنا لخدمة دينه ولغة كتابه الكريم .

أحمد مصطفى المراغى

مراجع التفسير

(١) تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل لأبى القاسم جار الله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) حاشية شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧١٣ هـ على الكشاف .

(٤) أنوار التنزيل للقاضى ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٥) تفسير أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى فى رأس المائة الخامسة .

(٦) تفسير البسيط للامام أبى الحسن الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ .

(٧) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦١٠ هـ .

(٨) تفسير الحسين بن مسعود البغوى المتوفى سنة ٥١٦ هـ .

(٩) غرائب القرءان لنظام الدين الحسن بن محمد القمى .

(١٠) تفسير الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

(١١) البحر المحيط لأثير الدين أبى حيان محمد بن يوسف الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .

(١٢) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

(١٣) تفسير أبى مسلم الأصفهانى المتوفى سنة ٤٥٩ هـ .

(١٤) تفسير القاضى أبى بكر الباقلانى .

(١٥) تفسير الخطيب الشربينى المسمى بالسراج المنير .

(١٦) روح المعانى للعلامة الألوسى .